جامعة فاروس بالاسكندرية
PUA
Library
Pharos University in Alexandria

جامعة المنصورة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المعارضات فى الشعر الأندلسى

بحث مقدم من الطالبة

إيمان السيد أحمد الجمل

لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب

P.U.A. Library
(9) Library D
Faculty of: Language
Serial No: 179
Classification: 861

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور
محمد زكريا عنانى
أستاذ الأدب الأندلسى
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الدكتور
على الغريب الشناوى
أستاذ الأدب الأندلسى المساعد
كلية الآداب – جامعة المنصورة

٢٠٠٤م

CamScanner

المقدمة

CamScanner

يهتم هذا البحث بدراسة المعارضات فى الشعر الأندلسى دراسة فنية، حيث أخذت فيه المعارضات شكل ظاهرة أدبية برز فيها شعراء مجيدون أمثال ابن عبد ربه والأصم المروانى اللذين عارضا أبا تمام، وابن زيدون والأعمى التطيلى وابن دراج القسطلى وابن سهل الذين عارضوا المتنبى وغيرهم كثير ممن أعجبوا بأشعار المشارقة سواء القدماء منهم أو المحدثون، بالإضافة إلى شعراء أقاموا معارضاتهم لإثبات القدرة والبراعة وكانت لهم فى ذلك رؤية مختلفة وعلى رأس هؤلاء ابن شهيد فى معارضاته لأعلام الشعر المشرقى من خلال رسالته التوابع والزوابع. وتزخر مصادر الشعر الأندلسى أمثال العقد الفريد والذخيرة والإحاطة وأزهار الرياض والنفح بعديد من ألوان المعارضات التى تكشف عن حجم هذه الظاهرة الأدبية بالإضافة إلى الثابت من خلال الاطلاع على دواوين بعض الشعراء الأندلسيين والوقوف على بعض القصائد التى تحاكى أشعار المشارقة أمثال أشعار امرئ القيس وزهير والنابغة وعنترة وحسان وأبى نواس والبحترى والمعرى وغيرهم.

وقد كانت هذه المعارضات أثرًا من آثار الحركة الأدبية التى ربطت بين شرقى الوطن وغربيه عن طريق الرواية لفحول الشعراء المشارقة وحفظ دواوينهم وتدريسها والتصدى لها بالشرح والنقد والموازنة بين أقطابها مما جعل معارضة أشعارهم ظاهرة عامة بغض النظر عن اختلاف الدواعى إلى إقامة هذه المعارضات بأشكالها المتعددة والتى جعلت للأندلسيين بصماتهم الخاصة وتعدت بهم مرحلة التقليد والمحاكاة إلى الإبداع والبراعة والابتكار.

وقد رأيت أن أبدأ البحث بمدخل حول المعارضات يكشف عن مفهوم المعارضة ودلالاتها ودواعيها الأدبية والسياسية والقومية، وأثر الحركة العلمية والأدبية والاتصال الثقافى بين المشرق والمغرب فى ظهور هذا اللون الأدبى وازدهاره فى الأندلس، والفروق بين هذا الفن وغيره من الفنون الأخرى التى قد تشترك معه بشكل أو بآخر فى السمات نفسها.

وتقوم هذه الدراسة على أنماط مختلفة من المعارضات نحو :

معارضة المبنى والمعنى.

معارضة المبنى دون المعنى.

معارضة المعنى دون المبنى.

التذييل.

CamScanner

وقد أشارت بعض الدراسات السابقة إلى المعارضات وأرّخت لها ومنها كتاب (مع شعراء الأندلس والمتنبى) لغرسيه غومث، تعريب الدكتور الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، وترجمة كتابة العنوان الحرفية (خمسة شعراء مسلمين سير ودراسات)، وهم : المتنبى، الشاعر الطليق، الإلبيرى، ابن الزقاق، ابن قزمان، ابن زمرك، ويتضمن هذا الكتاب فيما يتضمن إشارة إلى تأثر بعض من ذكر من الشعراء كابن هانئ وتأثره بالمتنبى والأصم المروانى وتأثره بأبى تمام، وهى إشارات للذكر فقط وقد ضم الدكتور مكى دراسة غومث عن المتنبى إلى هذه الدراسة عن الشعراء الخمسة وأعطى الكتاب هذا العنوان.

والدراسة الثانية هى كتاب (المعارضات الشعرية أنماط وتجارب) للدكتور عبد الله التطاوى، وينقسم إلى بابين: الباب الأول عن أصول الحركة الأدبية ثم دراسة حول مراحل تحليل النص ومقوماته وطبيعته، ثم دراسة حول أصول المعارضة الشعرية. أما الباب الثانى فهو مجال تطبيقى ورؤى تحليلية لنماذج جاهلية وأموية ومملوكية وحديثة.

وهناك دراسة أخرى بعنوان (أبو تمام والمتنبى فى أدب المغاربة) للدكتور محمد ابن شريفة عن دار الغرب الإسلامى، وتقع هذه الدراسة فى خمسة فصول، وقد اكتفى الدكتور محمد -كما ذكر- بجمع المادة وتوثيقها وعرضها وتتضمن الأسانيد والشروح والآثار النقدية للشاعرين الكبيرين والمعارضات لهما، ثم ختم الدراسة باختيارات من نسخة ديوان المتنبى السعدية المنصورية.

أما الدكتور محمد نوفل فله دراسة فى (تاريخ المعارضات فى الشعر العربى) وفيه يؤرخ المؤلف للمعارضات دون التصدى لها بالتحليل الفنى، فيقسم الكتاب إلى خمسة فصول، الأول منها عن معانى ومدلولات المعارضة، والثانى عن المعارضات فى العصر العباسى حتى نهاية العصر الأيوبى، أما الثالث فهو عن المعارضات فى بلاد المغرب -داخلية وخارجية، ومعارضات فى الموشحات، والفصل الرابع عن كثرة المعارضات لبعض القصائد المشهورة، ثم يختم الدراسة بالمعارضات فى العصر الحديث.

كذلك كان للدكتور عمر محمد عبد الواحد دراسة حول دوائر التناص معارضات البارودى للمتنبى "دراسة فى التفاعل النصى" وفيه يبحث فى العلاقات النصية التى تربط معارضات البارودى

CamScanner

الشعرية وهى سبع قصائد بما يماثلها من قصائد معارضة لدى المتنبى مستعيناً بما يلائمها من التحليل الأسلوبى وتعتمد الدراسة فيه على مصطلحين الأول: التناص، والثانى: التعلق النصى أو النصية المتفرعة. وتهتم بدراسة السمات الأسلوبية التى لها دور فى إنتاج دلالة كلية للنص الشعرى.

وتُعَدُ دراسة الأستاذ الدكتور على الغريب عن المعارضات هى الأحدث من نوعها فى الدراسات التطبيقية التى شملت نماذج قيمة وفريدة من المعارضات الشعرية للعصر العباسى بعنوان 'المعارضات فى الشعر الأندلسى القصيدة العباسية نموذجًا' وفيها يقدم دراسة تحليلية للمعارضات فى الشعر الأندلسى وهذا البحث يهدف إلى الوصول إلى رؤية موضوعية ترصد ظواهر التفوق بين الشاعرين وصور النقص. والصور الشعرية المبتكرة لدى الشاعر المعارض، وملامح الجمود والعقم فى النص المعارض كما ترصد الملامح المشتركة بين الشاعرين من حيث المعانى الإنسانية العامة والصور المشتركة والصيغ المكررة.

وقد رأيت أن أتناول تطور المعارضات من طور الإعجاب والتقليد إلى طور الابتكار وربما التفوق فى بعض الأحيان وسوف أهتم بهذا من خلال موازنة فنية أتناول فيها بنية القصيدة من حيث الشكل وما يدور فى مداره من أقسام القصيدة وطولها وعناصرها الإيقاعية والخيالية ومستوياتها التركيبية والصرفية، وكذلك من حيث مضمونها وما تحويه من أغراض وترتيب تلك الأغراض ومدى استكمالها، وأبرز مواطن اللحاق والتفوق وما تميّزت به الشخصية الفنية الأندلسية، ثم أعرض لأهم الآراء النقدية فى هذا الصدد كآراء ابن حزم وابن شهيد.

كما أهتم بما تكشف عنه هذه المعارضات بوصفها حركة أدبية نشطة دامت على مر العصور الأندلسية حتى فى عصور الضعف السياسى، وأخيرًا أبين الآثار الفنية لهذه المعارضات فى أشعار الأندلسيين.

كما أبحث فى أنماط المعارضات التى دارت بين شعراء الأندلس وبعضهم بعضًا ومنها ما جاء على صورة :

– رسائل شعرية ومكاتبات منظومة كتلك القصائد التى كان يرسلها ابن زيدون إلى ولادة فترد عليه بقصيدة على الوزن والقافية نفسهما حاملة ما تحمله من ردود، وكذلك كالتى كانت بينه وبين المعتمد.

- مجاوبات بين الشعراء كمجاوبات ابن هانئ والشريف القاضى، وابن الصبّاغ ولسان الدين ابن الخطيب.

- اشتراك شاعرين فى قصيدة واحدة كابن سعيد وحفصة الركونية.

- معارضات بين شاعرين لا تجمع بينهما علاقات اجتماعية كمعارضة ابن مرج الكحل لابن خفاجة، وأبى الربيع القضاعى لابن هانئ، وابن بياع السبتى للأعمى التطيلى.

- قلب المعنى على الشاعر الأول والرد عليه.

- معارضة الشاعر نفسه كما فعل ابن عبد ربه فى غزلياته بعد شيبه وتوبته.

وأفرق بين كل نمط مبينة أن الهدف من المعارضة يشكل جانبًا بالغ الأهمية فى تحديد بنية كل نوع وسماته الفنية التى امتاز بها، ثم أشير إلى ما لهذا الانتشار للمعارضات من دلالات وأثر هذا فى الحركة الأدبية الأندلسية.

أما الجوانب الفنية فى شعر المعارضات فأعتبرها لبّ هذا البحث وبؤرته، فنحن هنا بصدد التحليل الجزئى والكلى للنص موضوع المعارضة من خلال الواقع النفسى والاجتماعى والثقافى للشاعر مع مراعاة المسافات الزمانية والمكانية التى تفصل بين الشاعرين المعارَض والمعارِض.

ونستطيع الوقوف على المستوى الجمالى للنص من خلال لغته حروفًا وصيغًا وجملاً وأساليب ومن خلال صوره التقريرية أو المجازية الرمزية وبنية هذه الصور الجزئية التى حدّها البيت أو المركبة لتصل إلى الإحساس الكلى أو الوحدة العضوية.

ومن خلال الإيقاع الداخلى والخارجى الذى يدعم هذه الوحدة وذلك الإحساس.

نستطيع كذلك أن نصل إلى المستوى الإنسانى الذى خلع فيه الشاعر مشاعره على العمل الفنى فتتحدد بذلك تراثية الشاعر ومواقفه السياسية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية والتى نستطيع من خلالها الحكم على النص سواء أكان الغرض منه المدح بدوافعه العديدة أم الرثاء بأنماطه المختلفة أم الغزل بطبيعته المتباينة أم المستوى الوصفى المتحدد بالبيئة والموضوع أم الصوفى برموزه واصطلاحاته، إلى غير ذلك من أغراض المعارضات.

من خلال ما سبق نستطيع أن نبرز مواطن الالتقاء والاختلاف على المسار العام للنص ومدى التبعية وغياب الشخصية المتفردة أو مدى الابتكار وخلق شخصية جديدة لها معالمها الخاصة.

CamScanner

وستكون دراسة المستويات الفنية على الوجه الآتى :

١- البنية اللغوية فى شعر المعارضات، وتقوم هذه الدراسة على البحث فى الأبنية اللغوية فى النص المعارض من حروف وصيغ وجمل وأساليب ومدى محافظة هذه الأبنية على المستوى اللغوى للنص المعارض، واللحاق به والإضافة إليه أو التقصير عنه، ويكون هذا من خلال دراسة البنى السردية أو الحوارية والاهتمام بالعناصر الدرامية كالمكان والزمان والشخوص وعناصر التشويق والمفاجأة والتكثيف.

كذلك بنية التضاد بوصفها محورًا فى بعض التجارب وانسحابها على كل عناصر العمل الفنى وبيان أثرها فى تكثيف التجربة وتعميق الوعى.

المستوى التركيبى فى لغة النص كأبنية الأفعال واستخداماتها ورموزها، والتراكيب الإضافية ودلالاتها وظروف الزمان والإشارات المكانية وأبنية النفى والتطابق والمقابلة وتراكيب الجمل من حيث الطول والقصر وارتباط كل هذا بالواقع النفسى والبيئى.

كذلك الصيغ الاشتقاقية كصيغ اسم الفاعل واسم المفعول وأفعل التفضيل والمبالغة وما لهذا من إشارات ودلالات تفصح عن صدق التجربة وارتباط بنائها فى نسيج واحد.

كما تقوم الدراسة أيضًا على صيغ التحقيق والتقرير والتأكيد بكل أشكاله والأساليب الخبرية والإنشائية بما فيها من نداء برموزه واستفهام ببواعثه وقصر وحذف وفصل ووصل واعتراض وتقديم وتأخير بكل أنواعه ومدلولاته.

كما تهتم الدراسة بالضمائر لما لها من تعدد فى الأشكال والمدلولات كضمائر الخطاب والغائب ومخاطبة المفرد بصيغة الجمع والعكس.

وظاهرة الالتفات فى الضمائر ودلالات غياب ضمير الفاعل والحضور الكثيف للضمائر.

كما يحظى التضعيف فى الأفعال والأسماء والحروف باهتمام مماثل حيث إنه من الظواهر الصرفية التى لها دلالاتها الخاصة.

كما يهتم هذا الدرس بالبناء المعجمى والدلالى للمعارضة وانسجامه مع غرض النص وتعبيره عن التجربة الشعورية.

CamScanner

٢- البنية التصويرية فى شعر المعارضات، تعنى هذه الجزئية من البحث فى شعر المعارضات بعنصر الصورة الذى يعد من أهم عناصر العمل الأدبى فبها يكون الشاعر إما مقلدًا متكئًا على الموروث من الخيال وإما مبدعًا منطلقًا يلبس المعانى رداء الطرافة والجدة. وعلى هذا تقوم الموازنة بين النصين طرفى المعارضة. ويقوم هذا على تحليل دقيق يستوعب كل أضرب التصاوير فمن صور مدحية إلى صور غزلية أو وصفية أو خمرية ... إلخ وتعتمد فيها الصورة على مصادرها كالبيئة والتراث والتاريخ والحكم والأمثال.

كما نلتمس فى هذه المساحة من الدراسة ملامح الصورة :

لونية، حركية، ذوقية، ذهنية، ابتكارية.

وإيحاءات الأنواع الثلاثة الأولى واتساقها مع التجربة الشعورية وكشفها عنها بما تحمله من ألوان وروائح لها رموزها وبما تحمله من عنف أو اضطراب أو سكون أو بطء، وبما تنبى عنه الثنتان الأخريان من ثقافة وقدرة خيالية إبداعية خلاقة.

ويتم هذا على المستوى التقريرى للصورة أو المجازى كما يتم على مستوى الصورة الجزئية التى حدها البيت أو على مستوى الصورة المركبة لنصل إلى الإحساس الكلى أو الوحدة العضوية التى تتناسج فيها جميع عناصر العمل الفنى لتكون لحمه وسداها.

٣- البناء الإيقاعى فى شعر المعارضات، تكشف الدراسة فى هذه البنية عن عناصر البناء الإيقاعى ومقوماته التى تعلى من القيمة الصوتية الموسيقية فى التجربة الشعرية، ويعتمد هذا طريقين :

طريق البحث فى الإيقاع الخارجى للمعارضة وطريق البحث فى الإيقاع الداخلى لها.

ونبدأ بالوزن والقافية بوصفهما العنصرين الأولين اللذين اختزنتهما ثقافة الشاعر ثم رأت فيهما الشكل الأمثل والمناسب لحذوهما والنسج على منوالهما لما تمثلانه من تناسب والتجربة الشعورية فيرى الشاعر فى وزن القصيدة المعارضة ما يتسع للتعبير عن غرض معارضته وحالته النفسية واستعداده الفنى، كما ينسحب هذا أيضًا على القوافى بأصواتها وإطلاقها وسكونها وحروف الروى بإيقاعاتها وما يكشف عنه كل ذلك من تعبير عن حالة الإعجاب أو الانكسار أو الغضب ... إلخ.

CamScanner

ثم تنتقل الدراسة إلى البنية الإيقاعية الداخلية للمعارضة وسبل إثرائها فتكشف عن أهم الظواهر الصوتية فيها والتى من شأنها تعميق الإيقاع النفسى وخلق نغمات وإيقاعات تتوازى مع الإيقاع الخارجى للقصيدة متجانسة فى ذلك مع سائر العناصر الفنية لتكون وحدة متكاملة الأجزاء وبناءً متضافر المقومات.

ومن أبرز الظواهر الصوتية الداخلية ما يختص بالجمل وما يختص بالحروف وما يختص بالحركات:

ما يختص بالجمل من اعتماد على عنصر التوازى أو حسن التقسيم والترصيع وتساوى المقاطع العروضية وتماثلها النغمى والإيقاعى ومنها كذلك التكرار وأسلوبا الأمر والنهى مما يثرى النص بإمكانات إيقاعية صوتية تحقق التأثير السمعى.

ما يختص بالحروف: ومنها ما يناسب المعنى القوى العنيف فتكون حروفًا جهورة ذات رنة موسيقية مقعقعة صاخبة، ومنها ما يناسب المعنى الهادئ فتأتى هامسة لينة أو بطيئة ممتدة، ومنها تكرار حرف معين داخل البيت وما يشير إليه ذلك من قيمة صوتية أو ما نجده فى الترصيع وما يحدثه من سجعة رنانة، ومنها الجناس بوصفه تفننًا فى ترديد الأصوات فى الكلام بأنواعه المختلفة التام والمماثل والمحقق والناقص ومنها ما يلحق بالجناس كأن يجمع بين اللفظين المشابهة أو أن يجمع بينهما الاشتقاق.

ما يختص بالحركات: كالتنوين ودلالاته وحركات الضم والفتح والكسر والسكون وحركات المد والإطلاق والتضعيف وما لها من أثر فى تعميق التجربة والتعبير عنها.

وقد رأيت أن تأخذ هذه الدراسة شكل بابين يكون الأول فى ثلاثة فصول كمدخل نظرى لفن المعارضات يلقى عليها الضوء من خلال ثلاثة فصول، يعنى الأول منها بالمؤثرات المشرقية ودورها فى نشأة فن المعارضات فى الأندلس، ويعنى الثانى منها باستعراض المفهوم اللغوى والمفهوم الاصطلاحى للمعارضة ثم أنواعها ومستوياتها، كما يعنى بدراسة العمق التاريخى للمعارضات ومناقشة بعض الآراء فى ذلك، كذلك يعنى بعرض لمكانة هذا الفن ما بين مؤيد ومعارض ثم علاقة فن المعارضات بفنون أو مصطلحات أخرى قد تتشابه معها من بعض جوانبها.

CamScanner

وقد تمت الدراسة النظرية لهذا الفصل باستعراض آراء القدماء والمحدثين ومناقشة كل نقطة بالأسلوب المنطقى القائم على الاستدلال.

أما الفصل الثالث من الباب الأول فإنه مهتم بدراسة الاتجاهات الأدبية التى أنشأ عليها شعراء الأندلس معارضاتهم، وقد قسمت هذه الاتجاهات حسب منشئها فى المشرق والداعى لكل اتجاه، ثم حسب تمثلها فى الأندلس بتطور الدولة الأندلسية سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا.

أما الباب الثانى فى هذه الدراسة فإنه مهتم بالدرس الفنى للنصوص، وقد اقتضت مصلحة البحث أن تكون النصوص غير محددة بإطار زمنى معين من عمر دولة الأندلس، بل من مبدئها حتى نهايتها ليعطى هذا مساحة أرحب للبحث، وفرصة اختيار الأنماط المختلفة فيكشف بذلك عن عصور الازدهار أو الركود، وكذلك التقليد أو التجديد، كما يعطى البحث فرصة اختيار نماذج متفاوتة من الشعراء فى حقب مختلفة تمثل المؤثرات السياسية والثقافية والاجتماعية عاملاً هامًا فى تشكيل اتجاهاتهم الأدبية وطرائق تعبيرهم؛ ولذا آثرت فى هذا الدرس الفنى أن أنتهج المنهج التكاملى فى الكشف عن المستويات البعيدة التى تكمن تحت سطح النص. هذا المنهج التكاملى يفسر النصوص تفسيرًا سياسيًا .. جغرافيًا.. اقتصاديًا .. نفسيًا .. اجتماعيًا .. ثقافيًا تراثيًا: دينيًا أو أدبيًا أو تاريخيًا.

وقد اعتمدت فى جمع هذه النصوص التى يشملها الباب الثانى على ثلاثة مصادر أولها : كتب التراث مثل : نفح الطيب، أزهار الرياض، الذخيرة، العقد الفريد، الإحاطة، البيان المغرب، المن بالإمامة، وغير ذلك.

ثانيها : المراجع الحديثة التى اهتمت برصد وجمع النصوص مثل : تاريخ الأدب الأندلسى، المعارضات الشعرية أنماط وتجارب، المعارضات فى الشعر الأندلسى، المعارضات فى الشعر العربى، وغير ذلك.

وثالث هذه المصادر الاعتماد على ثقافة خاصة ومحفوظ من الشعر العربى الذى مكننى من التقاط بعض النصوص مثل : معارضة أبى حفص للخنساء، معارضة ابن زيدون لجرير، معارضة ابن زمرك لمالك بن الريب، وغير ذلك.

وقد قمت بتوثيق النصوص من مصادرها المحققة سواء منها الدواوين أم كتب التراث.

CamScanner

وقد رأى البحث أنه من المفيد أن تتم الترجمة لكل شاعر معارض من كتب التراجم المعروفة الموثوقة، فهي تضيء لنا طريق التعرف إلى الشاعر بيئته وظروفه وبعض الآراء النقدية التي دارت حوله.

وقد جاء الباب الثاني مقسمًا إلى فصلين يقوم الفصل الأول بدراسة النصوص المعنية بالمعارضات الخارجية التي تخص المشارقة. وقد تم فيها تناول عصرين مشرقيين، أولهما العصر الجاهلي وثانيهما العصر العباسي.

أما الفصل الثاني من هذا الباب فيقوم على درس المعارضات الداخلية بين الأندلسيين من الشعراء، وهذا الفصل من سعة الأنماط بحيث آثرت فيه الإيجاز على الإطناب، فالمعارضات الداخلية ثرية الأنواع من مراسلات ومجاوبات وتذييل وتمليط وإجازة وتخميس، جميع ذلك بالإضافة إلى الشكل المعروف لقصيدة المعارضة، مما يدعو إلى إفراد مساحة أرحب في بحث مستقل.

وقد انتهى البحث إلى عدة من النتائج ليست كشفًا جديدًا في ذاتها، إنما هي رصد لظواهر أدبية وجدت البيئة المناسبة والمسببات الدافعة إلى ظهورها ونضوجها.

CamScanner